فى المحكمة : هيس يبرىء نفسه

مأساة « **رودلف هيس** » بين الألمان والإنجليز والروس تصلح مثلاً نتأمله وندرسه لكى نوازن بين مطالب الحياة الدنيا الفانية ومطالب الحياة الآخرة الباقية الدائمة الخالدة دون أن يعزب عن بال إنسان مسلم قول الحق ــ تبارك وتعالى ــ فى القرآن الكريم : ﴿ **وما هذه الحياة الدنيا إلا لهو ولعب وإن الدار الآخرة لهى الحيوان لو كانوا يعلمون** ﴾ [العنكبوت : ٦٤] .

ولا يخفى أن لفظ « الحيوان » الذى وَرَدَ بالآية القرآنية الكريمة يعنى : الحياة الحقيقية المفعمة بالحياة النشيطة التى لا تخلو من حيوية الحياة .

ومن العجيب حقاً أن « **رودلف هيس** » ، بطل المأساة التى نعرض لها بالدراسة ، رغم غياب الوازع الدينى فى ممارسة حياته ، ورغم عدم أدائه أى صلاة لله مع رفاقه الذين كانوا معه إبان محاكمات « نورمبرج » قد قال فى ختام مرافعته دفاعاً عن نفسه : « ولو قُدِّر لى أن أبدأ الحياة من جديد مرة ثانية فإننى سأقوم بنفس الأعمال التى قمت بها ، حتى ولو كنت أعلم مقدماً أننى سأواجه فى النهاية ميتة شنيعة . أنا لا يهمنى آراء الناس ولا أقوالهم لأننى سأقف يوماً أمام محكمة سرمدية ، أمام الله ، وسأجيب عليه ، وأنا أعلم أنه سيحكم لى بالبراءة » .

كانت تلك هى آخر كلمات « **رودلف هيس** » ، بطل المأساة التى سنعرض لها بالدراسة ، وأحد الطغاة الذين حكموا ألمانيا إبان حكم النازى أمام محكمة « نورمبرج » ، فيها رجوع على نحو ما إلى الله ــ سبحانه وتعالى ــ، وفيها اعتراف ضمنى بأن عدل الله هو العدل الكامل الذى يحلم به كل إنسان ، فلا غرو إذًا أن تكون الدار الآخرة هى الحيوان .

نـازى عـريق...

لم تكن مأساة « **رودلف هيس** » مأساة رجل عادى ، و لم يكن « **رودلف هيس** » مجرد سجين مدى الحياة من أسرى الحرب العالمية الثانية بموجب حكم أصدرته عليه محكمة نورمبرج ، ولكن رودلف هيس كان النائب الثانى

هيس كما يبدو أثناء شبابه حيث التقطت هذه الصورة له عام ١٩٣٣ .

« لأدولف هتلر » ، زعيم ألمانيا أو « الفوهرر » كما كان يسميه الألمان إبـ- الحرب العالمية الثانية ، وكان « **رودلف هيس** » قد شارك أكبر مشاركة فى بناء الحزب النازى ، وفى صياغة برنامجه ، إلى حد المشاركة الفعالة فى صياغة كتاب « كفاحى » الذى صدر باسم زعيم النازية هتلر ، كما كان « **رودلف هيس** » قد شارك فى تسيير دفة الحرب من الجانب الألمانى إبان انتصارات الألمان الكاسحة فى العامين الأولين من الحرب العالمية الثانية ، وكان « **رودلف هيس** » هو صاحب « مجازفة السلام » بين الألمان والإنجليز من خلال رحلة قام بها بمفرده من ألمانيا إلى بريطانيا فى غمار المعارك المشتعلة أثناء الحرب العالمية الثانية ، وهى « المجازفة » التى اختلفت بصدد تقويم كنهها الآراء فيما بين اعتبارها محاولة لإقرار السلام ، أواعتبارها مجرد مناورة لفرض الاستسلام وتغيير اتجاه محور الحرب والعدوان والصدام .

رودلف هيس فى مصر !!

وُلد « **رودلف هيس** » بمصر بمدينة الإسكندرية وعلى وجه التحديد بحى الإبراهيمية يوم ٢٦ إبريل عام ١٨٩٤ لأبوين ألمانيين هما « فريتز هيس » وزوجته « كلارا هيس » .

وعندما وُلد « **رودلف هيس** » كانت مصر خاضعة تئن تحت الاحتلال البريطانى ، وكان الأجانب يتمتعون بمزايا تجارية وصناعية ومعيشية هائلة فى ظل الامتيازات الأجنبية التى فرضها الاحتلال البريطانى على مصر . ووفد إلى مصر بوجه عام وإلى مدينة الإسكندرية بوجه خاص آلاف الأجانب الأوربيين : إنجليز ، ويونان ، وفرنسيين ، وإيطاليين وألمان ، وأرمن ، ومن مختلف الجنسيات . واحترف كثير منهم التجارة بمختلف أنشطتها استيراداً للبضائع والمنتجات الأوروبية لتوزيعها بنظام تجارة الجملة ، وتصديراً لبعض المحاصيل الزراعية المصرية كالقطن والخضروات وغيرها إلى دول أوروبا .

بالإضافة إلى بعض الصناعات الخفيفة كحلج القطن والخراطة والنجارة وإصلاح السيارات ومختلف المهن الحرفية إلى حد امتلاك وإدارة محلات للحياكة والحلاقة .

ولم تكن هناك أية قيود تحد من حرية عمل أى أجنبى على أرض مصر فى مختلف مجالات الصناعة أو الزراعة أو التجارة ولذلك ازداد عدد الأجانب بها منذ بداية القرن العشرين ، وكَوَّنَ الأجانب لأنفسهم جالية لكل جنسية وبنوا لأنفسهم المدارس والمعابد والمستشفيات والأندية الاجتماعية والرياضية أيضاً بكل حرية وبأقصى ما يمكن تصوره من تسامح وتسهيلات .

وكانت الجالية الألمانية واحدة من الجاليات الأجنبية التى نشطت بمدينة الإسكندرية حيث وُلد بطل المأساة التى نعرض لها بالدراسة « **رودلف فريتز هيس** » يوم ٢٦ إبريل عام ١٨٩٤ .

هيس فى الجيش الألمانى ..

تعلم « **رودلف هيس** » بالمدرسة الألمانية بحى الإبراهيمية بمدينة الإسكندرية حتى بلغ الخامسة عشرة من عمره .

وإذ كان أبوه بالغ الثراء شأن تجار الجملة الأجانب بمدينة الإسكندرية فقد أوفده أبوه ليتم تعليمه بمدرسة التجارة العليا فى سويسرا تمهيداً لاستكمال دراسته العليا بجامعة أكسفورد فى بريطانيا فيما كان الأب « فريتز هيس » قد خطط لتعليم ابنه رودلف حتى يلم الابن إلماماً علمياً بأصول التجارة ليواصل تطوير أعمال أبيه التجارية . ولكن قيام الحرب العالمية الأولى (١٩١٤ ــ ١٩١٨) غيرت مسار حياة الابن رودلف فلم يسافر إلى بريطانيا لكى يتم تعليمه التجارى بجامعة أكسفورد كما كان يشتهى ويخطط أبوه ، بل انخرط رودلف فى سلك الجيش الألمانى دفاعاً عن مصالح ألمانيا الاقتصادية والسياسية أثناء الحرب العالمية الأولى ، والتحق « **رودلف هيس** » بالجيش الألمانى ، وتم تجنيده فى صفوف فرقة المشاة البلغارية الأولى ، وهى ذات الفرقة التى كانت تضم فى صفوفها « أدولف هتلر » ، وإن لم يتم التعارف بين هتلر وهيس فى غضون هذه الحرب بالرغم من التحاقهما بفرقة واحدة لانضواء كل منهما فى وحدة فرعية لم يكن يُسْمح لأى منهما أن يعمل إلا فى نطاقها المحدد لها . كان أدولف هتلر يعمل بإحدى الوحدات الإدارية ، بينما كانت الوحدة العسكرية التى يعمل « **رودلف هيس** » بين جنودها من الوحدات المقاتلة التى خاضت غمار بعض المعارك أثناء الحرب العالمية الأولى .

وكانت لهزيمة ألمانيا عند انتهاء الحرب العالمية الأولى ، آثارها كما كان لشروط مؤتمر الصلح ، وللعقوبات وللتعويضات المالية التى فرضت على ألمانيا عند انتهاء الحرب العالمية الأولى وكذلك تخفيض عدد أفراد القوات المسلحة الألمانية ونزع سلاحها وسلخ أجزاء من أراضيها التى يتكلم سكانها اللغة الألمانية كانت لهذه

النتائج كلها آثارها فى نفوس الألمان عموماً وفى التكوين النفسى لكل من « أدولف هتلر » و « رودلف هيس » ، وهو الاعتبار الذى جمع بينهما فى إطار الحزب النازى بعد تسريحهما من الخدمة العسكرية بالقوات المسلحة الألمانية كما سنوضح تفاصيله فيما بعد .

وبعد أن تم تسريح « **رودلف هيس** » من الجيش الألمانى بانتهاء الحرب العالمية الأولى وصلته رسالة من والده الذى كان لا يزال مقيماً مع أسرته بمصر يطلب منه العودة إلى الأسكندرية لمشاركته فى الاضطلاع بأعباء عمله فى التجارة ، ولكن « **رودلف هيس** » آثر ألا يعود إلى العمل بتجارة والده مفضلاً أن يكمل تعليمه الجامعى ، فالتحق بجامعة ميونيخ بألمانيا ليدرس التاريخ الذى أحب دراسته بالإضافة إلى علوم الاقتصاد والسياسة .

ومن هذا المنطلق ، من منطلق مرارة الألمان بسبب هزيمتهم فى الحرب العالمية الأولى ، ومن منطلق توجه « **رودلف هيس** » إلى دراسة التاريخ والاقتصاد والسياسة وما تقتضيه دراسة التاريخ والاقتصاد والسياسة من دراسة مبادىء الفلسفة تحدد مسار « **رودلف هيس** » نحو النازية ، ليلعب دوراً رئيسياً فى تكوين وقيام الحزب النازى الألمانى ، وليكون الساعد الأيمن للزعيم النازى « أدولف هتلر » ، وليكون واحداً من أبرز نواب هتلر ، وليقوم بأغرب رحلة من ألمانيا إلى بريطانيا إبان الحرب العالمية الثانية تمثلت فيها أعجب محاولة لتحقيق السلام بين الدولتين أثناء الحرب العاملية الثانية ، وهى الرحلة والمحاولة التى نعرض لهما فى هذه الدراسة .

صفات شعب !!..

الألمان شعب تنتشر بين أفراده المزايا إما الجسمية أو العقلية أو الخلقية .

وتؤكد المصادر التاريخية الموثوق بصحتها أن الألمان ينتسبون إلى قبائل جرمانية يرجع تاريخها إلى ما قبل ميلاد السيد المسيح ــ عليه السلام ــ ببضعة قرون . ولقد تم الكشف عن بعض الآثار للقبائل الجرمانية التى أرجعها الباحثون إلى العصر البرونزى [١٦٠٠ ــ ٨٠٠ ق. م] ، وتدل هذه الآثار على درجة كبيرة من التقدم فى سلم الحضارة كما تدل على مهارة فائقة بمقاييس ذلك العصر البرونزى .

وإن دلت هذه الآثار على شىء فهى تدل دلالة قاطعة على ارتفاع شأن الألمان منذ فجر التاريخ قبل الميلاد ببضعة قرون .

وإذا كان قدماء المصريين قد اكتشفوا الحديد منذ القرن الخامس عشر قبل الميلاد وصنعوا منه السيوف والرماح ، فقد انتقلت صناعة الحديد من مصر إلى دول الساحل الفينيقى ودول آسيا الصغرى ثم انتقلت إلى جنوب ووسط وشمال إيطاليا لتنتقل بعد ذلك إلى القبائر الجرمانية بوسط وشمال أوربا ، ليبرع الجرمان فى الإفادة من صناعة الحديد .

ولقد حاول الرومان بقيادة « يوليوس قيصر » الزحف على الجرمان ، ولكن الجرمان تمكنوا من هزيمة جيش يوليوس قيصر عام ٥٨ ق .م مما مكن الألمان آنذاك من حماية بلادهم حتى لا تقع تحت النفوذ الرومانى . وحاول الرومان إخضاع الألمان مرة أخرى ولكن القبائل الجرمانية استطاعت بقيادة « أرمنيوس » من سحق الجيوش الرومانية فى العام التاسع الميلادى[1] .

---

(١) الدكتور محمد كمال الدسوقى : تاريخ المانيا ــ ص ١٥ ــ ط : دار المعارف .

وليس هدفنا هنا أن نعرض تفاضيل تاريخ ألمانيا بل يهمنا الإشارة فحسب إلى مزايا الشعب الألمانى وقد ألمحنا فيما سبق إلى رسوخ جذورها بالأراضى الألمانية منذ فجر التاريخ حتى اليوم .

وحسبنا فى مجال بيان عظمة وقوة بطش القبائل الجرمانية منذ فجر التاريخ أن ننقل سطوراً من صفحة واحدة من أحد الكتب التى عرضت بالدراسة لتاريخ ألمانيا يتضح منها أن جيوش الإمبراطورية الرومانية لم تستطع إخضاع الألمان للنفوذ الرومانى ، وحدث العكس من ذلك إذ استطاع الألمان اختراق أراضى الإمبراطورية الرومانية . يقول الدكتور محمد كمال الدسوقى فى مطلع الفصل الثانى من كتابه عن تاريخ ألمانيا :

« عرفت الدولة الرومانية للجرمانى قدره واستفادت من شجاعته وبسالته فانخرط فى سلك الجندية الرومانية آلاف من الجرمان ، صارت لهم السطوة على الجيش الرومانى والبلاط القيصرى » . إلى أن يقول :

« واستفاد الجرمان فى منتصف القرن الثالث الميلادى من الخلافات الداخلية التى مزقت الدولة الرومانية ، فتعدوا حدود الدانوب ، ودخلوا الأراضى الرومانية ، وفقد الرومان المنطقة المعروفة باسم رومانيا حالياً ، وأسسوا بها دولة عرفت على مدار التاريخ باسم دولة القوط الشرقية تمييزاً لها عن دولة أخرى أسسها القوط ، وهم ينحدرون من أصول جرمانية ، عرفت باسم دولة القوط الغربية »[1] .

وكما توسع القوط المنحدرون من أصل جرمانية جنوباً توسعوا أيضاً جهة الغرب إذ عبرت قبائل الألمانى الجرمانية نهر الراين لتستولى على غاليسيا المعروفة باسم فرنسا حالياً حوالى عام ٢٥٠ م .

وكان للقبائل الجرمانية دور ملحوظ فى مساعدة الدولة الرومانية لدحر خطر قبائل « الهون » المنحدرة من شمال أوروبا حتى تم القضاء عليهم عام ٤٥١ م فى غاليسيا .

ومنذ عام ٤٨١ بعد الميلاد تمكن الملك الألمانى « كلوفس » من توحيد

---

(١) المرجع السابق ـ ص ١٨

القبائل الجرمانية فى دولة واحدة هى التى عُرفت طوال العصر الوسيط باعتبار أنها مملكة الفرنجة ، وهى نفس الدولة التى تشير إليها المراجع التاريخية المتخصصة باعتبار أنها مملكة الميروفنجسيين التى أرست أسس ما نعرفه اليوم باعتبار أنه ألمانياً ، وكان من ألمع ملوكها الملك « شارل » الذى يعرفه العرب باسم « شرلمان » ملك الفرنجة .

وإذا كان نابليون بونابرت قد تمكن بجيشه الضخم وتكتيكاته البارعة من إلحاق بعض الهزائم بالقوات الألمانية المفككة للتنافر الذى كان موجوداً بين أمراء الألمان الذين ألحق بهم نابليون هزائم متوالية فى « بينا وواجرام » عام ١٨٠٦ مما أدى إلى دخول نابليون إلى برلين ذاتها حيث فرض على الألمان صلح تليست عام ١٨٠٧ ، إلا أن الجنود الألمان المتحالفين مع الروس النمساويين لم يلبثوا أن ألحقوا بجيوش نابليون هزيمة ساحقة عند ليبزيج فى أكتوبر عام ١٨١٣ ، وتوالت انتصارات الألمان وحلفاؤهم على جيوش نابليون حتى نجحوا فى دخول باريس نفسها ليضطروا نابليون إلى التنازل عن العرش لتعود أسرة البوربون إلى حكم فرنسا .

وعندما عاد نابليون إلى فرنسا مرة ثانية ، استطاعت الجيوش الألمانية بمساعدة إنجلترا من إلحاق هزيمة نهائية حاسمة بجيوش نابليون فى موقعة « ووترلوا » فى يونية عام ١٨١٥ .

مجمع القول هو أن الألمان شعب ذو بأس وقوة لهم فى الحروب صولة وحمية ، ولقد امتدح « ميكيافيلى »، صاحب كتاب الأمير [١٤٦٧ — ١٥٢٧] تحصينات المدن الألمانية وامتدح النظم العسكرية الألمانية وطالب « الأمير » باقتباسها فقال : « المدن الألمانية محصنة تحصيناً مُتقناً لدرجة أن من يتفحص تحصيناتها يتأكد من أنه لا مزيد[1] . إن حول كل منها خندقاً مائياً moat ومدافع ضخمة artillary وحصناً Bastion » .

لقد أنجبت ألمانيا أعظم أساتذة الحرب ومنظريها فى العصر الحديث ، ويعتبر

---

(١) انظر ترجمتنا لكتاب الأمير « لمكيافيللى » ص ٤٥ باب : قياس قوة الدول ، وهو الباب العاشر من كتاب الأمير .

« كلاوزقيتز » بمؤلفه الشهير بعنوان « فى الحرب » من أبرز منظرى الحرب الحديثة دفاعاً وهجوماً .

ولقد أبرزت الحرب العالمية الأولى أسماء قادة ألمان على مستوى عال من الحنكة والبراعة العسكرية أمثال الجنرال « هنـدنبرج Hindenburg » و « لندنورف Lundendorff » و « وفـون كلـوك Von Kluck » و « و بيلوف Bulov » و « وفون مولتكة Von Moltke » و« فالكنهاين Falkenhayn » و« مكنزن Mackensen » .

وكذلك أبرزت الحرب العالمية الثانية أسماء قادة ألمان أفذاذ أمثال « جودريان ، وروميل ، وبراوخيتش ، وجورنج ، وفيرنكريب ، وكيسلرنج ، وسبيرل ، وموديل ، ويودل ، وسيب ديتريش ، وبراندنبرج ، وزيتزلر ، وفون بوك ، وفون فينخس ، وفون ليست ، وفون كلوج ، وفون رونشتت » وغيرهم كثير .

وقد نبغ بين الألمان أيضاً مفكرون عباقرة أفذاذ أمثال : « كانت ، وهيجل ، وشيلنج ، وفشته ، وشوبنهور ، ونيتشه ، وهوسرل ،وكيرك جارد وياسبرز ، وهايدجر » وغيرهم .

كما نبغ أيضاً بين الألمان أدباء وشعراء عباقرة أفذاذ أمثال « لسينج ، وهردر ، وجوته ، وشيلر ، وكلايست » ، ونبغ من الموسيقيين عباقرة أفذاذ أمثال : « باخ ، وهندل » .

وبعد أن تمكن الألمان وحلفاؤهم من دحر جيوش نابليون عام ١٨١٣ عملوا جاهدين من أجل الحصول على مطالبهم فى الدستور والحرية لكفالة حقوق الإنسان الألمانى فتمكنوا من الحد من سلطات الأشراف وأمراء الإقطاع وقضوا على امتيازاتهم بفضل الأحزاب التحررية التى انتشرت فى ربوع ألمانيا فزادت قوة الطبقات الشعبية التى طالبت بوحدة الأراضى الألمانية ، كما تحمل الشعب الألمانى مسئولية التطور الاقتصادى للبلاد ، فتحولت ألمانيا من الاعتماد الكامل على الزراعة وحدها إلى دولة صناعية متقدمة فى إنتاجها الصناعى إلى حد أن ألمانيا تفوقت على إنجلترا ذاتها فى صناعة الصلب وإنتاجه قرب نهاية القرن التاسع

عشر ، كما تفوقت ألمانيا على دول العالم فى الصناعات الكيميائية قبيل اندلاع الحرب العالمية الأولى ، وكانت الأسلحة الكيماوية تحمل البصمات الألمانية فى الحرب العالمية الأولى وفى الحرب العالمية الثانية .

بيد أن تفوق ألمانيا فى شتى المجالات أضعفه إلى حد كبير قصور وتردى السياسة الخارجية للدولة الألمانية ، وربما كانت لطبيعة الموقع الجغرافى لألمانيا دخل كبير فى فشل السياسة الخارجية الألمانية فى محصلتها النهائية .

عبقرية الموقع الجغرافى

إن نظرة إلى خريطة دول أوروبا فى مطلع القرن العشرين توضح لنا الخصائص التى يمتاز بها الموقع الجغرافى للدولة الألمانية : تجاورها روسيا من جهة الشرق ، وبولندة والمجر والنمسا وسويسرا من الجنوب ، وفرنسا من جهة الغرب ، وبلجيكا وهولندا والدانمرك من الشمال ولا تبعد دول أخرى صغيرة المساحة عن حدود ألمانيا مثل رومانيا وبلغاريا والصرب وألبانيا والجبل الأسود والبوسنة والهرسك واليونان وإيطاليا ، وهى كلها بطبيعة الحال دول أوروبية على مستوى متقارب من الخصائص العرقية الإتنوجرافية بوجه خاص والحضارية بالمعايير الدنيوية بوجه عام .

وأولى حقائق الموقع الجغرافى الألمانى تتمثل فى وجود دولتين كبيرتين إحداهما هى روسيا جهة الشرق من ألمانيا والأخرى هى فرنسا جهة الغرب من ألمانيا .

ولقد استطاعت الجيوش الألمانية أن تجتاح الأراضى الفرنسية إلى حد احتلال باريس عاصمة فرنسا أكثر من مرة ، كما اجتاحت جيوش نابليون الأراضى الألمانية إلى حد دخول برلين عاصمة ألمانيا .
وفشلت محاولة الألمان فى إتمام السيطرة على الأراضى الروسية إبان الحرب العالمية الثانية واضطرت إلى الإنسحاب منها بعد أن تكبدت وكبدت الروس خسائر فادحة ، ووصل الروس إلى برلين لدى انتهاء الحرب العالمية الثانية .

وثانية الخصائص الجغرافية للأرض الألمانية تتمثل فى أن الجغرافيا ليست هى مجرد سطح الأرض ، ولكن الجغرافيا هى سطح الأرض وما تحت سطح الأرض وما فوق سطح الأرض وما حول سطح الأرض ، وأهم ما فى ذلك كله هم البشر الموجودون فوق سطح الأرض ومقومات حياة أولئك البشر من الدين واللغة والخصائص القومية والعادات والقيم والتقاليد الموروثة .

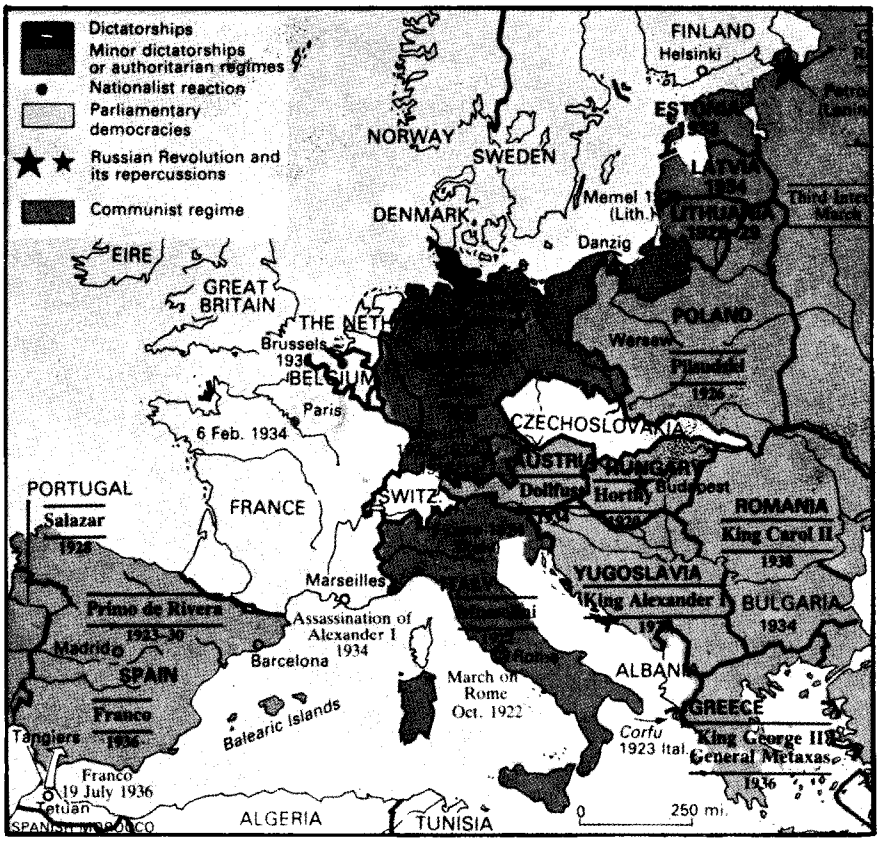

خريطة توضح الحدود الألمانية عقب الحرب العالمية الأولى حتى عام ١٩٣٩ .

ولقد أثبتت الحروب الألمانية أن مجرد اجتياح أراضى الدول الأخرى بواسطة قوات عسكرية فى حرب خاطفة غير كاف لإخضاع سكان هذه الدول ومواطنيها بالغاً ما بلغت قوة هذه الجيوش وبالغاً ما بلغ عددها وعتادها وبراعة أساليب قتالها وتكتيكاتها . ولقد كانت ذريعة هتلر نفسه فى غزو تشيكوسلوفاكيا هى رغبته المشروعة ــ فيما كان يزعم ــ فى ضم أقاليم يتكلم سكانها اللغة الألمانية إلى ألمانيا بعد أن كانت معاهدة فرساى قد

اقتطعت هذه الأراضى الألمانية وضمتها إلى دولة تشيكوسلوفاكيا التى لم تكن موجودة أصلاً قبل قيام الحرب العالمية الأولى .

ولا ريب بأن موقع ألمانيا بوسط شمال أوروبا ـــ إن صح التعبير ـــ محاطة بدول أوروبية أخرى إحاطة السوار بالمعصم هو المسئول الأول عن الشد والجذب العسكريين اللذين يحفل بهما تاريخ ألمانيا دفاعاً عن كيانها أحياناً وعدواناً على كيان غيرها من الدول أحياناً أخرى .

حـروب أوروبـا

تكمن عدالة الحرب ومشروعيتها فى إجابة سؤال : ما هو الهدف من الحرب ؟

ولقد كانت الحروب منذ فجر التاريخ فى أوروبا من أجل حطام الدنيا ، ومن أجل فرض نفوذ وسلطان وسيطرة دولة أوروبية تشعر بامتلاكها أسباب القوة على دولة أخرى تفترض الدولة المعتدية أنها أضعف منها إلى حد يمكنها من الانتصار العسكرى عليها لاستغلال ثروات الدولة المغلوبة ولإذلال شعبها .

فيم كانت حروب الإمبراطورية الرومانية ؟ كانت من أجل حطام فانٍ هو حطام الدنيا ، ولقد كان سقوط الإمبراطورية الرومانية نتيجة طبيعية لتعلق حروبها بحطام الدنيا ، وهو بطبيعة الحال حطام فانٍ .

امتلكت الإمبراطورية الرومانية بحد السيف أقطاراً كثيرة أوروبية وآسيوية وإفريقية ثم انحسر النفوذ الرومانى عن هذه الأقطار كماتنحسرمياه نهر جَفَتْهُ الأمطارُ فلمْ تنزلْ على منابعه قطرةُ ماء ، فلمَ لا تتلاشى مياه النهر وتكفّ عن التدفق والسريان ؟

كانت بلاد الشام ومصر خاضعتين ــ على سبيل المثال لا الحصر ــ لنفوذ الإمبراطورية الرومانية ، وكانت الجيوش الرومانية تحتل هذين البلدين ، وكانت الديانة المسيحية سائدة فى كل منهما ، وهى هى ذات ديانة الإمبراطورية الرومانية . دخل الرومان الشام وفلسطين وغزو مصر . ودخل الإسلام الشام وفلسطين وفتح المسلمون بقيادة عمرو بن العاص مصر ، وشتان شتان بين غزو الرومان وفتوح الإسلام ! تعاق الرومان بحطام الدنيا ، وقدَّم الإسلام للبشر ديناً يُصْلِحُ شئون البشر فى الحياة الدنيا وفى الحياة الآخرة ، فرجحت كفة

الإسلام ، وكانت كفة الرومان هى الخاسرة . وليس من يفتح البلاد لتشقى : (الرومان) مثل من يفتح البلاد لتسعد : (المسلمون) .

ويكفى لبيان حقيقة تعلق حروب الإمبراطورية الرومانية بحطام الدنيا ، أن هدف معظم الحروب الرومانية إنما كانت صراعاً بين القادة الرومان من أجل الوصول إلى كرسي الحكم فوق عرش الإمبراطورية ، يكفى لتأكيد هذه الحقيقة وتلك بما لا يدع مجالاً للشك أن نقرأ بعض سطور من كتاب الأمير « لمكيافيللى » حيث يقول :

« ولو تصفحنا تاريخ كل من الأباطرة : « كومودروس » ، و « سيفيروس » ، و « أنطونيادوس » ، و « كراكالا » ، و « مكسيمينوس » ، سنجدهم جميعاً طغاة قساة محبين للسلب والنهب مجيزين لهما ، لا يتورعون عن أى رذيلة ولا يأبهون لأى أذى يصيب الشعب[1] مادام فى ذلك رضى الجند .

ولقد انتهت حياتهم جميعاً فيما عدا الإمبراطور « سيفيروس » نهاية أليمة مفجعة .

(١) كتاب الأمير لمكيافيللى ـ الفصل التاسع بعنوان : تجنب المقت والكراهية :
That We Must Avoid Being Despised and Hated.
وانظر ترجمتنا العربية للكتاب [ص ٧٦ ـ ٧٧] .

الحرب العالمية الأولى

ليس من هدفنا بطبيعة الحال دراسة تفاصيل وقائع ومعارك الحرب العالمية الأولى ، بل سنكتفى بطبيعة الحال إلى الإشارة إلى مجمل أحجام الجيوش التى اشتركت فيها ، كما نشير إجمالا إلى نتائجها ، ولا يفوتنا ان نؤكد أن الأطماع المتعلقة بحطام الدنيا كانت هى هدف هذه الحرب التى كانت أول الحروب التى وصفت بصفة العالمية !

ولا يمكن بأى حال أن يقتنع أحد بأن حادثة اغتيال شخص حتى ولو كان « ولى عهد » تؤدى إلى قيام حرب عالمية ، بل المعقول كل المعقولية هو أن الأطماع الدنيوية المتعلقة بحطام الدنيا كانت هى السبب الحقيقى والهدف الجوهرى من دخول معظم الدول الأوربية أتون الحرب العالمية الأولى .

يوم ٢٨ يونيو ١٩١٤ أطلق إرهابى صربى فى مدينة سراييفو النار على الأرشيدوق « فرانتز فرديناند » ولى عهد النمسا ، فأعلنت النمسا الحرب على صربيا وساندتها ألمانيا . وأعلنت روسيا وبريطانيا وفرنسا الحرب على النمسا وألمانيا وساندت كل طرف دول أخرى حسب أطماع كل دولة ووفق مصالحها الدنيوية .

ونكتفى فى هذه العجالة السريعة بذكر أسماء دول كل طرف من أطراف الحرب وتاريخ دخولها الحرب العالمية الأولى وعدد سكانها آنذاك وعدد الجنود الذين زجت بهم كل دولة فى أتون تلك الحرب التى كانت أول حرب توصف بأنها حرب عالمية .

(أ) دول الوسط حلفاء النمسا وألمانيا

(١) ***النمسا والمجر*** : دخلت الحرب يوم ٢٨ يوليو ١٩١٤ ، وعدد سكانها (٥٠,٠٠٠,٠٠٠ نسمة) ، وعدد جنودها (٣,٠٠٠,٠٠٠ جندى) .

(٢) ***ألمانيا*** : دخلت الحرب يوم أول أغسطس ١٩١٤ ، وعدد سكانها (٨٠,٦٠٠,٠٠٠ نسمة) ، وعدد جنودها (٧,٠٠٠,٠٠٠ جندى) .

(٣) ***تركيا*** : دخلت الحرب يوم ٣ نوفمبر ١٩١٥ ، وعدد سكانها (٢١,٠٠٠,٠٠٠ نسمة) ، وعدد جنودها (٣٠٠,٠٠٠ جندى) . [ويتضمن الإحصاء بطبيعة الحال سكان وجنود الدول الخاضعة للإمبراطورية العثمانية] .

(٤) ***بلغاريا*** : دخلت الحرب يوم ٤ أكتوبر ١٩١٥ ، وعدد سكانها (٥,٠٠٠,٠٠٠ نسمة) ، وعدد جنودها (٣٠٠,٠٠٠ جندى) .

وبذلك بلغ عدد جنود دول الوسط (١٠,٦٠٠,٠٠٠ جندى) من بين تعدد سكان دول الوسط الذى كان يبلغ حوالى (١٥٦,٦٠٠,٠٠٠ مليون نسمة) .

(ب) حلفاء الصرب وبريطانيا (الحلفاء)

(١) ***صربيا*** : أعلنت بالحرب يوم ٢٨ يوليو ١٩١٤ ، وعدد سكانها (٤;٥٥٠,٠٠٠ نسمة) ، وعدد جنودها (٣٠٠,٠٠٠ جندى) .

(٢) ***روسيا*** : أعلنت الحرب يوم أول أغسطس ١٩١٤ ، وعدد سكانها (١٧٥,٠٠٠,٠٠٠ نسمة) ، وعدد جنودها (٩,٠٠٠,٠٠٠ جندى) .

(٣) **فرنسا** : أعلنت الحرب يوم ٣ أغسطس ١٩١٤ ، وعدد سكانها ٨٧,٥٠٠,٠٠٠ نسمة ، وعدد جنودها ٦,٠٠٠,٠٠٠ جندى

(٤) **بلجيكا** : أعلنت الحرب يوم ٤ أغسطس ١٩١٤ ، وعدد سكانها (٢٢,٥٠٠,٠٠٠ نسمة) ، وعدد جنودها (٣٠٠,٠٠٠ جندى) .

(٥) **بريطانيا** : أعلنت الحرب يوم ٤ أغسطس ١٩١٤ ، وعدد سكانها (٤٤٠,٠٠٠,٠٠٠ نسمة) ، وعدد جنودها (٥,٠٠٠,٠٠٠ جندى) .

(٦) **الجبل الأسود** : أعلنت الحرب يوم ٧ أغسطس ١٩١٤ ، وعدد سكانها (٥١٦,٠٠٠ نسمة) ، وعدد جنودها (٤٠,٠٠٠ جندى) .

(٧) **اليابان** : أعلنت الحرب يوم ٢٣ أغسطس ١٩١٤ ، وعدد سكانها (٧٤,٠٠٠,٠٠٠ نسمة) ، وعدد جنودها (١,٤٠٠,٠٠٠ جندى) .

(٨) **إيطاليا** : أعلنت الحرب يوم ٢٣ مايو ١٩١٥ ، وعدد سكانها (٣٧,٠٠٠,٠٠٠ نسمة) ، وعدد جنودها (٣,٠٠٠,٠٠٠ جندى) .

(٩) **سان مارينو** : أعلنت الحرب يوم ٢ يونيو ١٩١٥ ، وعدد سكانها (١٢,٠٠٠ نسمة) ، وعدد جنودها (١,٠٠٠ جندى) .

(١٠) **البرتغال** : أعلنت الحرب يوم ١٠ مارس ١٩١٦ ، وعدد سكانها (١٥,٠٠٠,٠٠٠ نسمة) ، وعدد جنودها (٢٠٠,٠٠٠) .

(١١) **رومانيا** : أعلنت الحرب يوم ٢٧ أغسطس ١٩١٦ ، وعدد سكانها (٧,٥٠٠,٠٠٠ نسمة) ، وعدد جنودها (٢٧٠,٠٠٠ جندى) .

(١٢) **الولايات المتحدة** : أعلنت الحرب يوم ٦ إبريل ١٩١٧ ، وعدد سكانها (١١٣,٠٠٠,٠٠٠ نسمة) ، وعدد جنودها (١,٠٠٠,٠٠٠ جندى) .

(١٣) **كوبا** : أعلنت الحرب يوم ٨ إبريل ١٩١٧ ، وعدد سكانها (٢,٢٥٠,٠٠٠ نسمة) ، وعدد جنودها (١١,٠٠٠ جندى) .

(١٤) **بنما** : أعلنت الحرب يوم ٩ إبريل ١٩١٧ ، وعدد سكانها (٤٢٧,٠٠٠ نسمة) ، وعدد جنودها (غير معروف) .

(١٥) **اليونان** : أعلنت الحرب يوم ١٦ يولية ١٩١٧ ، وعدد سكانها

(٥,٠٠٠,٠٠٠ نسمة) ، وعدد جنودها (٣٠٠,٠٠٠ جندى) .

(١٦) **سيام** : أعلنت الحرب يوم ٢٢ يولية ، وعدد سكانها (٨,١٥٠,٠٠٠ نسمة) ، وعدد جنودها (٣٦,٠٠٠ جندى) .

(١٨) **ليبريا** : أعلنت الحرب يوم ٧ أغسطس ١٩١٧ ، وعدد سكانها (١,٨٠٠,٠٠٠ نسمة) ، وعدد جنودها (٤٠٠ جندى) .

(١٩) **الصين** : أعلنت الحرب يوم ١٤ أغسطس ١٩١٧ وعدد سكانها ٣٢٠,٠٠٠,٠٠٠ نسمة وعدد جنودها ٥٤٠,٠٠٠ جندى

(٢٠) **البرازيل** : أعلنت الحرب يوم ٢٦ أكتوبر ١٩١٧ ، وعدد سكانها (٢٥,٠٠٠,٠٠٠ نسمة) ، وعدد جنودها (٢٥,٠٠٠ جندى) .

ومنه يتضح أنه فى الحرب العالمية الأولى (٢٨ يونيو ١٩١٤ — ١١ نوفمبر ١٩١٨) كانت عشرون دولة معظمها من الدول الأوروبية ، وتعداد سكانها يصل إلى قرابة المليار وثلثمائة وتسعة وثلاثين مليوناً وأربعمائة وخمسة وخمسين ألفاً من البشر ، وعدد جنودها حوالى سبعة وعشرين مليوناً وأربعمائة وثلاثة وسبعين وأربعمائة جندى فى جانب الصرب وبريطانيا وفرنسا وغيرها من الدول مما كان يطلق عليه اسم « الحلفاء » كانوا يحاربون على مدى اتساع الكرة الأرضية أربع دول ثلاث منها دول أوروبية وتقع تركيا رابعة هذه الدول فى كل من أوروبا وآسيا ، وتعداد سكان هذه الدول الأربع كان يصل آنذاك إلى حوالى مائة وستة وخمسين مليوناً وستمائة ألف نسمة ، ويصل عدد جنودها حوالى عشرة ملايين وستمائة ألف جندى ، وهى الدول الأربع التى كانت تعرف باعتبار أنها « دول الوسط » ، وكانت تضم النمسا والمجر وألمانيا وتركيا وبلغاريا كما سبق أن أسلفنا .

وفيم كانت هذه الحرب العالمية الأولى ؟ هل كانت لمجرد اغتيال شخص بالغاً ما بلغ مركزه ؟ كم يحفل التاريخ بأحداث اغتيال ملوك وأباطرة لا مجرد ولى عهد النمسا والمجر !

يجمع المؤرخون على أن أسباب الحرب ترجع أساساً إلى رغبة ألمانيا والنمسا فى التوسع فى أراضى الدول الأوروبية حولهما من جهة لتصل كل من هاتين

الدولتين اللتين تحيط بهما دول أوروبية أخرى من كل الجهات إلى البحار إلى وجنوباً وتتاح أمام كل منهما فرص الاستعمار لدول إفريقيا وآسيا حيث كان لبريطانيا وفرنسا نصيب الأسد فى تلك المستعمرات الإفريقية والآسيوية .

صورة تظهر بها عملية اغتيال الأرشيدوق ولى عهد النمسا والتى تذرعت بها ألمانيا والنمسا لإعلان الحرب عام ١٩١٤ م .

وإذا كانت ألمانيا والنمسا تطمعان فى الاستيلاء على الدنمرك وهولندا شمالاً لتصل ألمانيا إلى بحر الشمال وكذلك الاستيلاء على صربيا والجبل الأسود وبلغاريا جنوباً للوصول إلى اليونان وتركيا ، ومن ثم الانفتاح على البحر المتوسط وآسيا وإفريقيا ، لو كانت تلك هى أطماع ألمانيا والنمسا ، فإن أطماع بريطانيا وفرنسا وروسيا على النقيض من ذلك تماماً !

غير مسموح من وجهة نظر « الحلفاء » أن تتاح الفرصة لألمانيا والنمسا بالوصول إلى أية مصادر إضافية للقوة الاقتصادية ، وغيرمسموح لأى من هاتين الدولتين بالتوسع شمالاً أو جنوباً . لقد ذاقت كل من روسيا وفرنسا وبريطانيا الأمرين من جراء تفوق الألمان والنمساويين العسكرى بالرغم من وجود كل منهما داخل حدود بوسط أوروبا فكيف يكون الحال لو ازدادت قوة هاتين الدولتين جغرافيا واقتصاديا ؟

ويستطيع القارىء الكريم أن يتخيل خريطة العالم وجنسية الدول الاستعمارية فى آسيا وإفريقيا لو انتصر محور دول الوسط (ألمانيا والنمسا والمجر وتركيا وبلغاريا) فى الحرب العالمية الأولى ! هل كانت المستعمرات البريطانية على سبيل المثال ستظل بريطانية لو كانت بريطانيا قد هزمت فى الحرب العالمية الأولى ؟

صورة يظهر فيها الجنرالان فون هندنبرج وإريك لندندورف واللذان قادا معركة تاننبرج والتى اجتاحت فيها القوات الألمانية أراضى روسيا .

وإذا كانت دولة مثل بريطانيا من الناحية الاقتصادية ومن جميع نواحى امتلاك القوة تعتمد على المستعمرات البريطانية ، فهل من المعقول ــ من وجهة نظر البريطان السماح لألمانيا بالاتصال بتركيا وبناء خط « سكة حديد » « ألمانيا ــ تركيا ــ العراق » على يد الألمان ؟، وهل تسمح بريطانيا أيضاً بتوسع ألمانيا شمالاً فى اتجاه بحر الشمال بالتهام الدنمرك وهولندا وبلجيكا أو الوصول إلى البحر المتوسط بالتهام بلغاريا والصرب ورومانيا والجبل الأسود ثم اليونان للوصول إلى البحر المتوسط وإفريقيا ؟

ولقد أحرز الألمان انتصارات باهرة فى بداية الحرب العالمية الأولى فأوقعوا هزيمة ساحقة بالقوات الروسية التى هاجمت ألمانيا من الشرق لتخفيف ضغط الألمان العسكرى على فرنسا ، فتمكن الجنرال الألمانى « هندنبرج Hindenberg » ومساعده « لندندورف lundendorf » من أن يوقعا هزيمة ساحقة بالروس عند « تاننبرج » خلال أربعة أيام [٢٦ ــ ٢٩ أغسطس ١٩١٤] .

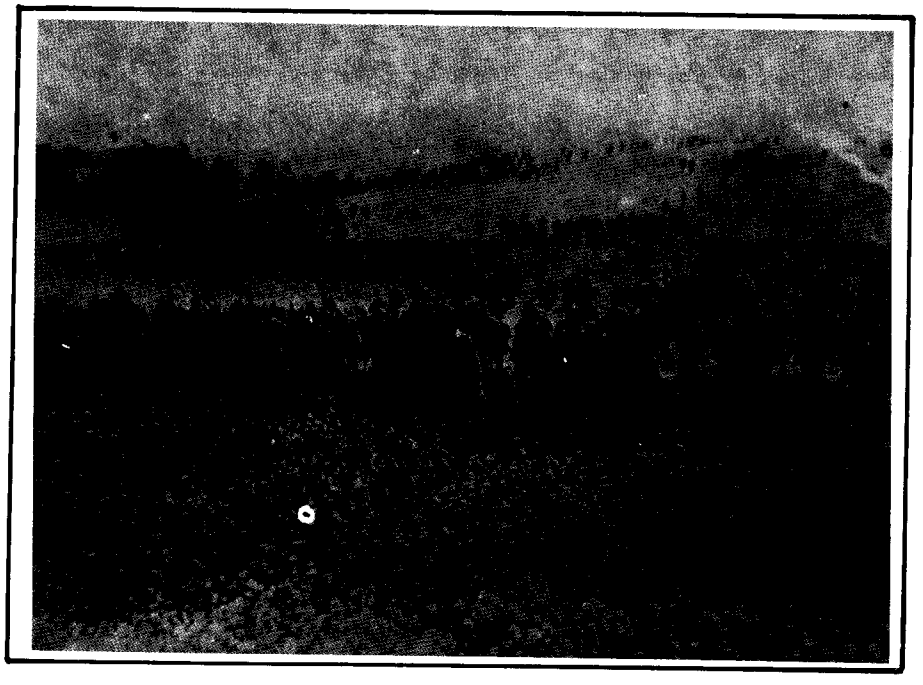

صورة تظهر اجتياح القوات الألمانية أراضى فرنسا فى شليفن عام ١٩١٤ .

واحتل الألمان بلجيكا فأمكن لهم الالتفاف حول الدفاعات الفرنسية ، مما اضطر القائد الفرنسي « جوفر Joffre » إلى الانسحاب بالقوات الفرنسية للدفاع عن أرض فرنسا بمساعدة قوات بريطانية خفت لنجدة فرنسا إلا أن الألمان هاجموا باريس بقيادة « فون كلوك Von Kluck » و « بيلوف Bülov » اعتباراً من ٢١ أغسطس . وتحولت الحرب فى الميدان الشرقى جهة فرنسا إلى حرب خنادق بالغة القسوة .

وعندما هاجم الإنجليز الأتراك بالاشتراك مع روسيا بهدف احتلال الدردنيل هبت ألمانيا لنجدة تركيا وسحقت القوات الروسية على يد القائد الألمانى « مكنزن Mackensen » فتلاشى الخطر الروسى على تركيا والنمسا والمجر أيضاً اعتباراً من أول مايو ١٩١٥ .

وعندما تمكن الصرب من إنزال هزيمة ساحقة بجيوش النمسا فى أغسطس وسبتمبر ١٩١٤ ، توجه إليهم « ماكنزى » على رأس قوات ألمانية ونمسوية وبلغارية فاجتاح صربيا اجتياحاً وأخضعها .

وبالرغم من نجاح الألمان فى الميدان الشرقى وتمكنهم من إلحاق الهزائم بجيوش روسيا إلا أن انشغالهم بالميدان الشرقى خلخل قوتهم فى الميدان الغربى كما حاصر الأسطول الإنجليزى أسطول ألمانيا فى « كييل Kiel » وفرض على ألمانيا حصاراً بحرياً قاسياً .

ولقد حاولت ألمانيا حصار بريطانيا بحراً كما تمكنت بريطانيا من حصار ألمانيا بحراً اتجهت الخطط العسكرية الألمانية إلى الميدان الغربى باتجاه فرنسا بهدف هزيمتها وإخراجها من الميدان ، لتصبح بريطانيا بمفردها تقريباً ، وهاجم الألمان حصون « فردان » بتصميم وقوة ، وقام الإنجليز بشن هجوم على الألمان فى منطقة « السوم Somme » ، وأدخل الإنجليز الدبابات فى الهجوم لأول مرة فى تاريخ الحرب ، ومنيت القوات الألمانية بخسائر فادحة مما اضطر إمبراطور ألمانيا إلى نزع القيادة من « فالكهاين » وإسناد قيادة قوات ألمانيا فى الميدان الغربى إلى « هندنبرج » .

وإذا كان عام ١٩١٦ قد شارف نهايته والقوات الألمانية تحقق انتصارات

متوالية إلا أن ألمانيا كانت تدفع باستمرار ثمن الانتصارات باهظاً فى الرجال والعتاد والأموال ، فكم من الوقت تستطيع ألمانيا الصمود ومواصلة الانتصار ؟

ولم تكن موقعة جتلند Gutland البحرية فى ٣١ مايو ١٩١٦ كافية لدحر الحصار البحرى الإنجليزى ضد ألمانيا ، إذ ظلت قوات أمير البحر الإنجليزى جليكو قادرة على إحكام الحصار البحرى حول ألمانيا .

حاربت ألمانيا بهدف الوصول إلى البحار طمعاً فى الوصول إلى خيرات العالم ومغانمه ، فأحكم الإنجليز عليها الحصار البحرى ، وكان الإنجليز أساتذة الحرب البحرية دون منازع .

ولما كان الخروج إلى البحار هو الهدف الأول من الحرب ، فلقد حاولت ألمانيا أن تنجح فى بلوغ هذا الهدف فلجأت إلى حرب الغواصات ، كسلاح مضاد للقطع الحربية البحرية .

ويؤتى الحذر من مأمنه !

كانت الغواصات التى جدت ألمانيا فى إنتاجها واستخدامها لإغراق القطع الحربية البحرية البريطانية والسفن غير الحربية أيضاً باعتبار أنها تحمل المواد الاستراتيجية للعدو هى نقطة التحول Turn Point فى الحرب العالمية الأولى .

أغرقت غواصة ألمانية الباخرة « لويزيتانيا Luisitania » وكان عليها مسافرون أمريكيون .

ودخلت الولايات المتحدة الأمريكية بإمكانياتها الرهيبة الحرب العالمية الأولى ، فأعلنت الحرب على ألمانيا يوم ٦ إبريل ١٩١٧ . كما أعلنت اليونان الحرب على ألمانيا يوم ١٦ يوليو ١٩١٧ على إثر اعتزال الملك قسطنطين حكم اليونان ليخلفه ابنه برعاية السياسى اليونانى « فنزيلوس Venizelos » .

انسحب الروس من الحرب العالمية الأولى بعد قيام الثورة البلشفية وعقدوا مع الألمان صلح « برست ليتوفسك Brest Litovesk » فى مارس ١٩١٨ ، وأصبحت الجبهة الغربية جبهة فرنسا والجنوبية جبهة تركيا هما جبهتى الحرب الرئيسيتين .

وتولى الجنرال « فوش Foch » قيادة جيوش فرنسا ، وعمل الجنرال « بيتان Pitan » تحت قيادته . وأعد الحلفاء خطة مشتركة للهجوم على قوات المارشال هندنبرج ، هاجم القائد الإنجليزى الجنرال « هيج » بقواته خط هندنبرج فى أغسطس ١٩١٨ . وهاجم البلجيك بقيادة الأمير ألبرت الألمان فى « إيبر » ، وهاجم الفرنسيون بقيادة الجنرال « مانجان » الألمان فى « سواسون » ، كما هاجم الأمريكيون بقيادة الجنرال « برشينج » الألمان فى الفردان ، وهاجم الجنرال « كستلنو » بقواته فى الأردين . وحلت الهزيمة بالألمان فى الميدان الغربى يوم ٢٩ سبتمبر ١٩١٨ ، فنصح الجنرال « لندندورف » حكومة ألمانيا بطلب الصلح ، وفى نفس الوقت طلبت بلغاريا الصلح من الحلفاء يوم ٢٩ سبتمبر ١٩١٨ ، وبخروج بلغاريا من الحرب انحلت قوات النمسا والمجر التى كانت قد استنفدت كل قواها ، وكانت تعتمد بشكل رئيسى على القوات المسلحة الصربية .

وفى الجبهة الجنوبية للحرب العالمية الأولى تمكن الجنرال « اللنبى » من دخول دمشق فى أول أكتوبر ١٩١٨ ، فأعلن الأتراك الانسحاب من الحرب وعقدوا هدنة مع الحلفاء فى ٣ أكتوبر ١٩١٨ .

وهكذا شارفت الحرب العالمية الأولى نهايتها ، وطلب مستشار الرايخ الألمانى الأمير « ماكس فون بادن » فى مذكرة رسمية من الرئيس الأمريكى « ويلسون » التوسط لطلب الصلح مع دول الحلفاء على أساس النقاط الأربع عشر التى أعلنها « ويلسون » بمجلس الشيوخ الأمريكى فى ١٨ يناير ١٩١٨ .

ورَدَّ « ويلسون » على المذكرة الألمانية موضحاً أنه لا يستطيع التدخل لطلب الهدنة إلا بشروط هى أن تسحب ألمانيا قواتها فوراً من كل المناطق التى احتلتها قواتها منذ بداية الحرب مع الإيقاف التام لجميع أعمال الغواصات الألمانية فى جميع البحار وألمح إلى ضرورة تنحية القيصر الألمانى وليم الثانى (غليوم) عن عرش ألمانيا . ووافقت ألمانيا على جميع مطالب الرئيس الأمريكى ويلسون ، فأعلن المستشار الألمانى (رئيس وزراء ألمانيا) تنازل الإمبراطور (غليوم) عن العرش الألمانى يوم ٩ نوفمبر ١٩١٨ ، كما استقال المستشار الألمانى

صورة تظهر آلاف الأسرى الألمان عقب معركة « سوم » والتى لقب يومها باليوم الأسود .

ماكس فون بادن نفسه أيضاً لتحظى ألمانيا بحكام جدد لم تلطخ أيديهم دماء الحرب العالمية الأولى ، وتولى « فريدريك إيبرت » منصب مستشار الرايخ الألمانى ، لتتولى حكومته الجديدة مهمتها العسيرة فى التوقيع على شروط الحلفاء المنتصرين لتنعقد الهدنة رسمياً بين ألمانيا ودول الحلفاء .

وكانت شروط الهدنة التى أملاها الجنرال الفرنسى « فوش » بالغة القسوة ، ولم يكن الألمان يستطيعون رفضها فاضطروا للتوقيع على قبولها فى غابة « كومبين » يوم ١١ نوفمبر ١٩١٨ تمهيداً لعقد صلح « فرساى » فى ١٨ يناير ١٩١٩ . واستغرقت مفاوضات شروط الصلح بضعة شهور ليتم التوقيع عليها فى ٢٨ يونيو عام ١٩١٩ .

معاهدة فرساى

يجمع المؤرخون على أن شروط معاهدة فرساى البالغة القسوة على الألمان هى التى أفضت إلى قيام الحرب العالمية الثانية ، ونرى أن الطمع البشرى فى « حطام الدنيا » هو السبب فى قيام جميع حروب أوروبا بدءاً من حروب الرومان كما أسلفنا ووصولاً إلى الحرب العالمية الأولى ثم الحرب العالمية الثانية .

ونعرض بين يدى القارىء الكريم موجز شروط معاهدة فرساى نزولاً على تقدير المؤرخين لأهميتها كمدخل إلى الحرب العالمية الثانية . وفيما يلى موجز شروط معاهدة فرساى التى تم توقيعها فى ٢٨ يونيو ١٩١٩ وهى :

[١] اقتطاع أراض من ألمانيا دون إجراء استفتاء وهى أراضى الألزاس واللورين التى كانت تحت سيطرة ألمانيا قبل بداية الحرب العالمية الأولى لتعود إلى فرنسا مرة أخرى .

كما تم ضم مقاطعات من غرب ألمانيا ذاتها وبوزن وجزء من بوميرانيا إلى جمهورية بولندا التى قرر الحلفاء قيامها كما قرروا قيام دولة تشيكوسلوفاكيا على أراض كانت ألمانية فى الأصل مثل لتوانيا وهولشاين ونصت الاتفاقية على وضع مستعمرات ألمانيا كمناطق انتداب تحت إشراف « عصبة الأمم » التى تقرر قيامها نزولاً على رغبة الرئيس الأمريكى ويلسون .

[٢] إجراء استفتاء فى مناطق ألمانية ليختار سكانها الدولة التى يريدون الانتماء إليها وهى مناطق شليسفج ومنطقة « آلشتاين » ، و « مارين » ، و « فردر » ، و « أوبين » ، و « مالمدى » و « سيليزيا » . وقد أسفر الاستفتاء عن انضمام معظم هذه المناطق التى كانت ألمانية إلى الدنمرك وبولندا لتحول بين ألمانيا وبين الانطلاق إلى بحر الشمال كما تحول تشيكوسلوفاكيادون توسع ألمانيا فى اتجاه الجنوب .

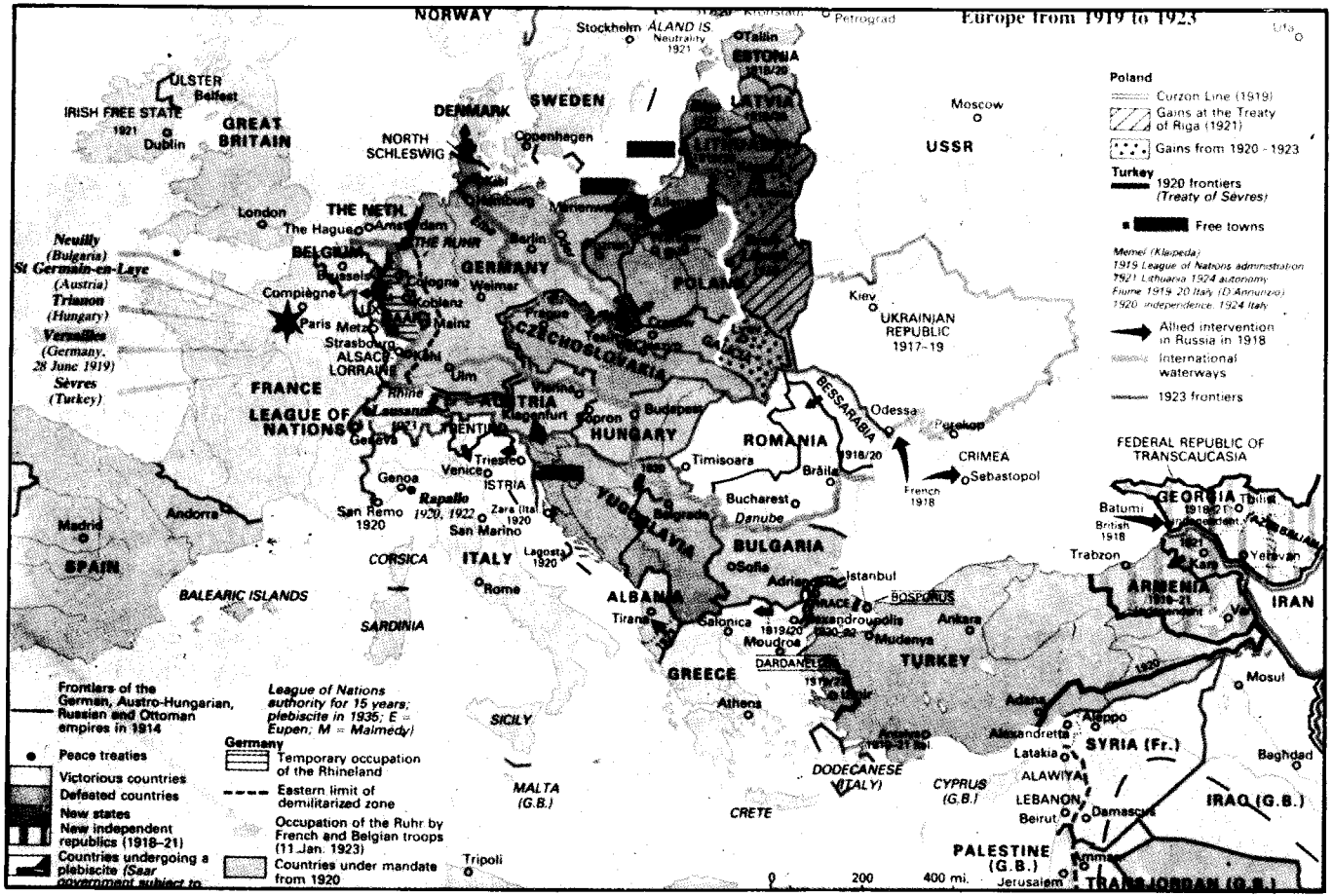

أوربا إبان سنة ١٩١٩ ، ١٩٢٣ بعد هزيمة ألمانيا فى الحرب العالمية الأولى .

[٣] تعترف ألمانيا باستقلال النمسا وتكف عن المطالبة بإقامة أى شكل من أشكال الوحدة أو الاتحاد بين ألمانيا والنمسا فى إطار الرايخ الألمانى أو أى إطار آخر .

[٤] لا يزيد الجيش الألمانى عن ١٠٠,٠٠٠ (مائة ألف) رجل ، ولا يزيد عدد الضباط به عن أربعة آلاف ضابط ، ولا يزيد عدد رجال القوات البحرية عن ١٥,٠٠٠ (خمسة عشر ألف رجل) ، ولا تقيم ألمانيا أى قوات جوية ولا تمتلك أى طائرات مقاتلة فى المستقبل .

ويحرم على ألمانيا إصدار أى تشريع يفرض التجنيد الإجبارى[١] على الألمان ، وعلى ألمانيا أن تسلم إلى دول الحلفاء ما لديها من مواد حربية ، وعلى ألمانيا ألا تقيم أى تحصينات عسكرية شرقى نهر الراين وبمسافة عرضها خمسون كيلومتراً تبقى منزوعة السلاح مع منطقة مماثلة لها غربى نهر الراين لتأمين حدود فرنسا[٢] من أى خطر ألمانى فى المستقبل ، ولمزيد من التأمين تحتل قوات فرنسية الأراضى الألمانية غربى نهر الراين ، ولا تنسحب هذه القوات إلا بموافقة الحلفاء وفقاً لجدول زمنى كل خمس سنوات يعاد النظر فيه .

[٥] يحاكم القيصر غليوم محاكمة علنية بتهمة خرقه للعرف الدولى وانتهاكه للاتفاقيات . وتلتزم الحكومة الألمانية الجديدة بتسليم مجرمى الحرب .

[٦] نصت معاهدة فرساى[٣] على أن ألمانيا مسئولة مسئولية كاملة عن كل الأضرار التى لحقت بالحلفاء . ونصت المعاهدة على تشكيل لجنة تشرف على تقدير قيمة هذه التعويضات ، كما تشرف على كيفية وفاء ألمانيا لدفعها لمستحقيها . وخولت المعاهدة لهذه اللجنة الحق فى الاطلاع على كل ما يلزم لتقدير قدرة ألمانيا المالية على دفع التعويضات بالإشراف المالى الكامل على الخزانة

---

(١) خرق الفوهرر أدولف جميع هذه الشروط قبل قيام الحرب العالمية الثانية .

(٢) ولقد اجتاحت قوات هتلر الدول التى أنشأتها معاهدة فرساى واجتاحت أراضى فرنسا فى بداية الحرب العالمية الثانية .

(٣) بعد توقيع المعاهدة ماطلت ألمانيا فى تنفيذ هذا البند .

الألمانية وتقرير أسس النظام الضرائبى بها مع عدم السماح لحكومة ألمانيا بتخفيض الضرائب دون موافقة اللجنة .

ومارست لجنة التعويضات هذه عملها فى لندن فى ٥ مايو ١٩٢١ وأوصت بتقدير مبدئى للتعويضات التى يلزم أن تدفعها ألمانيا للحلفاء بلغ مقداره « ١٣٢ ملياراً » من الماركات الذهبية . ودفعت ألمانيا القسط الأول من هذا التعويض وقدره « مليار » من الماركات الذهبية فى آخر مايو ١٩٢١ .

شروط قاسية دون ريب . جَشَعٌ وتهافتٌ على « حطام الدنيا وزخارفها » قبل الحرب ، وجشعٌ وتهافتٌ على « حطام الدنيا وزخارفها » بعد الحرب ، فلماذا لا تندلع بين البشر حرب فى إثر حرب ؟ وقامت الحرب العالمية الثانية فى أعقاب الحرب العالمية الأولى !